

« ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح » ..
وجاء في تيموثاوس من الإصحاح الثانى : « إن آدم لم يفسد ، ولكن المرأة أغويت فحصلت في التعدى » .

* * *

تلك قصة الشجرة في كتب الأديان ، وهى تعبر برموزها السهلة عن بداهة النوع المتأصلة في إدراكه للمقابلة بين الجنسين ، وعن دور كل منهما في موقفه من الجنس الآخر ، على الوجه الوحيد الذى تتم به إرادة النوع ، والمحافظة على بقائه ، وإنما تتم هذه الإرادة بين جنس يملك الزمام ، وجنس تقوم إرادته على أن يحرك إرادة غيره ، وقد ترجمت قصة الشجرة سر الجنس الكامن في طبائع الأحياء جمعاء ، بين الإرادة والإغراء ، وبين المطاردة والانقياد ، فانطوت في هذا السر كل خليقة يتميز بها الذكور والاناث ، وتنتقل إلى العالم الإنسانى فيتميز بها الرجال والنساء تمييزا يبقى في كيان الخلق ، وفي دقائق الخلايا الجسدية التى يتركب منها ذلك الكيان ، بعد كل دعاية مذهبية ، وكل طور من أطوار المجتمع السياسى . وبعد كل ترويح أو تهريج يلغط به أولئك الذين ينظرون حولهم ولا يحسون ، أو يحسون ما حولهم وما فى أنفسهم ولا يفقهون ..

ومن نقائص الطبع الأنثوى التى أشرنا إليها فيما تقدم ، أن تخالف المرأة أشد المخالفة وتذعن غاية الإذعان ، حين يضطرب الحس فيها بين إرادتها الفردية وإرادتها النوعية .

وحب الإغراء على هذا النحو مفهوم بشطريه أو بنقيضه ، مفهوم على الموافقة وعلى المخالفة ، لأن المرأة محكومة لا تحكم غيرها إلا من طريق إغرائه ، أو من طريق تنبيهه إلى ما هو « شهى للنظر بهجة للعيون » كما جاء في العهد القديم .

وكل خلق من أخلاق المرأة مرموز إليه فى قصة الشجرة ، ومنها الولع بالممنوعات كما يولع بها كل محكوم مضطر إلى الاتباع .